

المحاضرة الثانية

وضع المصطلح العربي في الفلسفة وعلم الكلام

الأستاذ الدكتور حسن حنفي
أستاذ ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب، جامعة القاهرة

السبت 28 شوال 1414هـ - 9 نيسان 1994م

1- المصطلح لغة وفكر

المصطلح لغة الفكر، واللغة أداة صياغته. ودون المصطلح تصبح اللغة مجرد تعبير تلقائي عن الفكر، أشبه بالأدب أو المقال. المصطلح هو الذي ينقل الفكر من مستوى الأدب إلى مستوى العلم، ومن مخاطبة العامة إلى مخاطبة الخاصة، ومن الثقافة الشعبية إلى تخصص الصقوة. المصطلح هو العمود الفقري للغة، يحدد منحنياتها ومسارها، ويوجهها نحو الموضوع، يحدده، ويحتويه، يحاصره ويضع بناءه. المصطلح أشبه بالمحطات الرئيسية لمسار اللغة أو الدشم العسكرية في خط الجنود.

والمصطلح يحدد بنية الفكر، فلكل مصطلح معنى واتجاه وقصد. فإذا قيل مثلاً "الجوهر والعرض" تحددت بنية الفكر ورؤية العالم، علاقة بين المركز والمحيط، بين الحامل والمحمول، بين الأصل والفرع. وكذلك الأمر في كل المصطلحات الثنائية مثل العلة والمعلول، الواجب والممكن، الصورة والمادة، القديم والحادث، الوجود والعدم، ما بعد الطبيعة والطبيعة، النفس والبدن، العقل والحس، الذات والصفات، الله والعالم، الخير والشر، الصواب والخطأ، الحق والباطل، الرجل والمرأة، وهي تدل على ثنائيات المعرفة والوجود والقيم: مباحث الفلسفة الثلاثة. في حين تدل مصطلحات أخرى أحادية الطابع على بنية أخرى كذلك مثل الطفرة والكنون، ولو أن أصدادها المعنوية في الذهن مثل التطور ضد الطفرة، والخلق ضد الكمون⁽¹⁾.

ولما كانت المصطلحات الفلسفية القديمة قد نشأت من خلال الفلسفة اليونانية القديمة، وكانت ذات طابع ثنائي تعبر عن مثاليها العقلية الطبيعية التلقائية فقد طبعت الفكر الإسلامي الكلامي المتأخر والفلسفي بهذا الطابع الثنائي. فاتحد الوحي والعقل والطبيعة، الوحي الإسلامي، والعقل والطبيعة اليونانية في نظام واحد يمحي فيه الفرق بين الداخل والخارج، بين الموروث والوافد، بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر توحيداً للثقافتين في ثقافة واحدة، أحد مآثر التوحيد.

وقد لاحظ الفارابي ذلك من قبل في كتاب "الحروف" أي كتاب المصطلحات، ماذا يحدث على مستوى الفكر عندما ينقل لفظ من لغة إلى لغة، من لغة منقول منها إلى لغة منقول إليها؟ وتعدى الأمر المصطلح إلى بناء الجملة، ثم إلى بنية الفكر ذاته. ففي اللغة اليونانية ومثيلاتها من اللغات الهندية الأوروبية يظهر فعل الكينونة $etre, E 6Ti$

(1) انظر، بحثنا: ثنائية الجنس أم ثنائية الفكر؟ مجلة هاجر، العدد الأول، القاهرة 1993.

كرباطة بين الموضوع والمحمول سواء في الوسط أو في النهاية. في حين أنه في اللغة العربية لا يظهر فعل الكينونة لأن الموجود متضمن في الموضوع، ولا حاجة إلى إثباته. فنقول: "المناضل شهيد" ولا نقول "المناضل يكون شهيداً" أو "المناضل هو شهيد". وهذا يدل على أن الفكر الذي تعبر عنه اللغة العربية يوحد بين الفكر والوجود، فلا يوجد فكر إلا إذا كان موجوداً كما هو الحال في الدليل الانطولوجي على وجود الله عند انسيلم وديكارت وهيجل بالرغم من رفض كانط وكيركجارد والوجوديين والوضعية المنطقية له^(٢).

قضية المصطلح إذن ليست قضية مهنية حرفية آلية إجرائية، يتم حلها بالحسابات الآلية وأجهزة "الحاسوب" كما هو الحال في الترجمات الحديثة فحسب بل هي أعمق من ذلك بكثير. إذ تتعلق ببنية الفكر ذاته وبنية الثقافة وتكوين الشخصية القومية. لا تحل في مجامع اللغة العربية أو في مدارس الألسن وحدها بل في أجهزة الثقافة والإعلام، في تداول اللغة في الشوارع والطرق، في أساليب الثقافة الشعبية وفي أدوات ثقافة الجماهير. قد تكشف عن صراع اجتماعي سياسي بين الحاكم والمحكوم، بين أنصار الرجعية وأنصار التقدم. فعادة ما تتبنى السلطة الحاكمة التصورات الثنائية للعالم الناتجة عن المصطلحات المزوجة حتى تسيطر بها على المحكومين. تضع نفسها في الطرف الأعلى، وتضع الناس في الطرف الأدنى حتى تحكم السيطرة على الناس من خلال الفكر والتصورات الموروثة التي أصبحت هي والدين شيئاً واحداً. الالتزام بها والدفاع عنها من الدين، ونقدها ورفضها والخروج عليها من الكفر. فتتوقف حركة المجتمع، ويستمر التسلط من طرف الحاكم، والخضوع من طرف المحكوم.

2- مصدر المصطلح: الموروث والوافد

ينشأ المصطلح من مصدرين؛ الموروث والوافد. الأول مصدر داخلي، والثاني مصدر خارجي يتحول إلى داخلي بعد عصر الترجمة. ويتمثل الموروث أساساً في التراث اللغوي الفقهي أو الموروث الأدبي الشعري أو القرآن الكريم والحديث النبوي، آيات القرآن وأحاديث الرسول. فقد قام الوحي باستبدال مركز الثقافة العربية من الشعر إلى القرآن في وحدة اللغة واستمرار التاريخ. أما الوافد فيأتي من الثقافات المحيطة المجاورة التي تم الانتشار فوقها وقت الفتوح، ودانت شعوبها ثقافياً ولغوياً للإسلام والعروبة، وقام متقوفا

(٢) عثمان أمين: فلسفة اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة 1968. وأيضاً "الجوانية"، دار القلم، القاهرة: 1964. محمود قاسم: اللغة والفكر، مركز الدراسات العربية. القاهرة 1968.

بنقل ثقافتهم القديمة من لغاتها القديمة إلى اللغة العربية في مشروع قومي واحد لا فرق بين فاتح ومفتوح، بين جديد وقديم. فقد كان المترجمون الأوائل نصارى ديناً، وعرباً لغةً، ويوناناً ثقافةً. قدموا إلى الدين الجديد ثقافة قديمة، نقلوها من اليونانية إلى العربية. فنشأت المصطلحات العربية الجديدة لتعبر عن المصطلحات اليونانية القديمة. وكان ولاء المترجمين للغة المنقول إليها ولثقافة المترجم إليها وليس إلى اللغة المنقول منها أو إلى الثقافة المترجم منها. بل إن الفاتحين الجدد رأوا في هذا النقل واجباً دينياً وأمرأ إلهياً وحلماً نبوياً كما ورد في حلم المأمون الشهير برؤية أرسطو في المنام طالباً منه نقل كتبه إلى العربية تدعيماً للدين الجديد. وحدث نفس الشيء بالنسبة للثقافة الفارسية والثقافة الهندية من الشرق ثم الثقافة الرومانية من الغرب من جديد، بل لقد وضعت على لسان الرسول أحاديث سقراطية مثل "من عرف نفسه فقد عرف ربه"، إضافة للبعد الرأسي الإسلامي على البعد الأفقي اليوناني، أو أرسطية مثل "لو كان أرسطو حياً لاتبعني".

والمصطلح الكلامي الفلسفي جزء من مصطلح العلوم النقلية العقلية الأربعة: أصول الدين، وأصول الفقه وعلوم الحكمة، وعلوم التصوف. هذا بالإضافة إلى مصطلح آخر، المصطلح في العلوم النقلية الصرفة الخمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والفقه، وأيضاً المصطلح في العلوم العقلية الخالصة: الحساب، والهندسة، والجبر، والموسيقى، والفلك، وفي العلوم الطبيعية: الطبيعة والكيمياء، والمعادن، والنبات، والحيوان، والصيدلة، والطب، وفي العلوم الإنسانية: اللغة، والأدب، والجغرافية، والتاريخ. لذلك ارتبط المصطلح بتصنيف العلوم.

وقد نشأ المصطلح الكلامي قبل المصطلح الفلسفي تاريخياً نظراً لنشأة علم الكلام قبل الفلسفة. فعلم الكلام نشأ داخلياً أولاً منذ القرن الأول تنظيراً للحوادث التي وقعت منذ وفاة الرسول مثل الإمامة وعبر الفتنة الكبرى والحروب بين الصحابة بحثاً عن معاني الإيمان والكفر والفسوق والعصيان ووضع مرتكب الكبيرة. وكلها ألفاظ قرآنية مستمدة من آياته ثم تحولت إلى مفاهيم نظرية لها معانيها المستقلة في داخلها وإن كانت لها شواهد النقلية. تم ذلك قبل عصر الترجمة في القرن الثاني. وظهرت مصطلحات الاستطاعة، والقدرة، والفعل، والقضاء، والقدر، ولها أصولها القرآنية، وأخرى جديدة من طبيعة العقل مثل الجبر للتعبير به عن المضمون مباشرة وعلى نحو تلقائي. وبعد عصر الترجمة في القرن الثاني استمر إفران المصطلحات القرآنية في علم الكلام مثل الذات والصفات

والأفعال والنبوة والمعاد مع تحويل الأسماء مثل واحد إلى أسماء أفعال مثل التوحيد، وتحويل الأفعال مثل يصف إلى أسماء مثل صفة، وتحويل الجمع إلى مفرد، والمفرد إلى الجمع، إعمالاً للعقل في النص، وبحثاً عن لغة لها جذورها في الموروث، وبها قدرة على مخاطبة العقل وإجراء الحوار بين المتخصصين.

وبعد عصر الترجمة في القرن الثاني نشأ المصطلح الفلسفي في القرن الثالث عند الكندي بعد أن تمت صياغته على أيدي المترجمين منذ القرن الثاني حتى القرن الرابع نحتاً وتطويراً، صنفاً وأحكاماً حتى إنه ليصعب أحياناً التمييز بين المترجمين والفلاسفة مثل الكندي وحنين بن إسحق، وأبو بشر متي بن يونس، وقسطا بن لوقا. فقد تتلمذ الفلاسفة على المترجمين كما تتلمذ المترجمون على الفلاسفة مثل الفارابي والخمار وابن زرة. وظهرت مصطلحات المنطق والطبيعيات والإلهيات مثل المقولات والأجناس والأنواع والخواص، والجواهر والأعراض والحركة والسكون، والصورة والمادة، والعلة والمعلول، والكم والكيف، والزمان والمكان، والجهة والإضافة، والفعل والانفعال، والوضع والملكية، والقوة والفعل، والعقل المستفاد، والعقل الفعال، والواحد، والوجود والفيض والصدور.. الخ.

وتتشابه مصطلحات الكلام والفلسفة خاصة بعد القرن الخامس بعد قضاء الغزالي على العلوم العقلية والتفاف الفلسفة حولها من خلال علم الكلام. لذلك ألف الأمدي كتاباً في مصطلحات الفريقين لاعتمادها على وافد فلسفي واحد. تحول الكلام المتأخر كله إلى فلسفة كما يتضح ذلك عند الإيجي والتفتازاني والبيضاوي والدواني. بل وتضخمت المقدمات النظرية خاصة نظرية الجوهر والعرض حتى كادت تبلغ ثلاثة أرباع العلم^(٣).

إن المصطلح لا يُحكَم فقط لغة ولكنه ينشئ علماً. ولقد تأسست العلوم بتأسيس المصطلحات. هكذا تأسس علم أصول الفقه برسالة الشافعي واستعمال ألفاظ العموم والخصوص والبيان من اللغة أو من العقل البسيط لوضع مصطلحات العلم. كما تم إبداع مصطلحات العلم قبل الوافد اليوناني. فأركان القياس: الأصل والفرع والعلة والحكم، وأحكام الوضع: السبب والشرط والمانع، والعزيمة والرخصة، والصحة والبطلان، وأحكام

(٣) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة. المجلد الأول: المقدمات النظرية، الباب الرابع: نظرية الوجود، مدبولي، القاهرة 1988.

التكليف: الفرض والمحرم والمندوب والمكروه والمباح، ومباحث اللغة: الحقيقة والمجاز، والظاهر والمؤول، والمجمل والمبين، والمحكم والمتشابه، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والأمر والنهي كلها إبداع داخلي خالص. ومصطلحات علوم التصوف، المقامات والأحوال، ومصطلحات علوم القرآن: أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ومصطلحات علوم الحديث: الرواية، والتواتر، والآحاد، والسند، والمتن، والمرسل، والمشهور، ومصطلحات الفقه: العبادات والمعاملات، والفرض والسنة، والقضاء والقدر والتراخي كلها مصطلحات أصيلة من إبداع المسلمين، من المصدر الداخلي وليست من المصدر الخارجي.

3- التشكل الكاذب في المصطلح الجديد

وبعدما حل المصطلحان، الموروث والوافد، في الوعي الفلسفي الجمعي بدأت عملية التشكل الكاذب في الحدوث. وتعني إحلال المصطلح الوافد بدل الموروث دون إحلال المعنى. هي ظاهرة لغوية تقوم على إسقاط اللفظ الموروث وإبقاء معناه وإحلال اللفظ الوافد محله دون معناه في جدل رباعي على النحو الآتي:

الموروث	الوافد
اللفظ أ	اللفظ ج
المعنى د	المعنى ب

- أ - إسقاط اللفظ الموروث نظراً لضيقه ومحليته وانغلاقه وبالتالي فقدان قدرته على التفاعل الحضاري واستبقاء معناه فالمعنى هو الأهم والأبقى.
- ب - إحلال اللفظ الوافد محله نظراً لما يمثله من إغراء حضاري وجذب ثقافي، وما يتصف به من عقلانية وانفتاح وشمول ونزعة إنسانية عامة وبالتالي القدرة على التفاعل الحضاري.

ج - استبقاء اللفظ الموروث كوعاء قديم أصيل محكم مضبوط واستعماله كأداة للتعبير عن المعنى الوافد.

د - إحكام وضبط المعنى الوافد بالتعبير عنه باللفظ الموروث وإكمال نقصه، وتعادل ميزانه، واستقرار تصوره.

وعلى هذا النحو يتم التفاعل الحضاري من أجل خلق ثقافة جديدة تضم الموروث والوافد معاً على مستويي اللفظ والمعنى، اللفظ الوافد كأداة للتعبير عن المعنى الموروث لصالح الحضارة الجديدة، واللفظ الموروث كأداة للتعبير عن المعنى الوافد لصالح الحضارة القديمة.

وعلى هذا النحو حدث تحول من مصطلحات الكلام العقائدية الإيمانية التقليدية الموروثة إلى مصطلحات الفلسفة العقلية الفلسفية المفتوحة الوافدة. فالله واجب الوجود، العلة الأولى، مثل المثل، الصورة المحضة، العقل الفعال، إلى آخر هذه الألفاظ الوافدة. ومع ذلك خالق للعالم ويعتني به، والخلق والعناية معنيان موروثان دون قدم العالم وتحرك العالم نحو الله بالعشق، وهما المعنيان الوافدان. وأمکن التعبير عن الواحد الموجود عند أفلوطين مثلاً وهو المعنى الوافد بلفظ الله وهو اللفظ الموروث. لقد تم التعبير عن معنى الأنا بلفظ الآخر، والتعبير عن معنى الآخر بلفظ الأنا في قراءة حضارية مشتركة على التبادل، الأنا في مرآة الآخر على مستوى لفظه، والآخر في مرآة الأنا على مستوى معناه.

وقد بدأت إرهابات عملية التشكل الكاذب عند المترجمين والفلاسفة في مرحلة الشرح والتلخيص خاصة بالنسبة للوافد، إسقاط معانيه أو أحكامها أو إكمالها ثم استعمال ألفاظه للتعبير بها عن المعاني الموروثة التي ضاق بها الثوب القديم، وهو اللفظ الموروث. فقد وجد المترجمون من نصارى العرب أن اللغة المنقول منها وهي اليونانية تحمل ثقافة مغايرة لثقافة اللغة المنقول إليها وهي العربية. ولما كان ولاؤهم الثقافي للغة العربية وثقافتها فإنهم قاموا بتطويع ترجمة المصطلحات اليونانية إلى بنية الثقافة العربية. فلفظ Eoû (-) الذي يعني آلهة باليونانية على الجمع نظراً لثقافة تعدد الآلهة تمت ترجمته بلفظ ملائكة نظراً لثقافة التوحيد، وحدانية الله، أما التعددية فهي للملائكة، الملائكة جمع والله فرد صمد. كما أن لفظ (MδM6) اليوناني الذي يعني المكان الذي يتم فيه عقاب الأرواح الشريرة تمت ترجمته بالنار أي المصطلح الإسلامي المقابل. وفي

نفس الوقت يتم فيه التعبير عن معنى الألوهية عند أفلاطون وأرسطو بلفظ الله سبحانه وتعالى أو الله جل جلاله تأكيداً على التوحيد.

ويفضل هذا الاستبدال اللغوي تحققت وحدة الثقافة، لا فرق في ذلك بين الموروث الفكري والوفاة اللغوي. وتم تحقيق هدفين: الأول تجديد اللغة الموروثة المنغلقة الإيمانية الخاصة إلى لغة مفتوحة عقلية عامة مما يسمح لكل المعاني الموروثة بالتمدد والانتشار والقدرة على الدخول في حوار مع الثقافات المجاورة. والثاني تمثل الثقافات الوافدة داخل الموروثة وعدم تركها كبؤرة منعزلة، كقطب جذب في الثقافة الموروثة خارجاً عنها، ونقد ما لم يتفق معها، وإكمال ما نقص فيها^(٤).

وتدل ظاهرة التشكل الكاذب التي تعني الاستبدال اللفظي بين حضارتين دون الاستبدال المعنوي، الاستبدال الحقيقي في اللفظ والاستبدال الوهمي في المعنى، على جراءة لغوية تتمثل في إسقاط اللفظ الشرعي القديم وإحلال اللفظ الوفاة الجديد بدلاً عنه في بيئة يسيطر عليها الفقهاء. وقد كان هذا الإحلال طبيعياً نظراً لتطور الحضارة وانتقالها من النقل إلى العقل، ومن التقليد إلى التجديد. فقد كان المصطلح الكلامي عقائدياً إيمانياً تشريعياً نقلياً لا يتفق مع تطور الحضارة وتمثل الوفاة. كان المعنى يتضخم واللفظ ثابت مما دفع المعنى إلى الانتقال من إيسار اللفظ إلى البحث عن لفظ جديد.

كان هذا الاستبدال اللغوي ينم عن قدر كبير من الشجاعة الفكرية، والثقة بالنفس، وعدم الإحساس بالنقص أمام الآخر أو الإحساس بإرهابه وسطوته. فنشأت الحضارة الإسلامية ابتداءً من تأسيس العلوم في القرنين الأول والثاني، وتطورت في القرنين الثالث والرابع، واكتملت في القرن الخامس. وبعد هجوم الغزالي على العلوم العقلية، توقفت وتحجرت في القرنين السادس والسابع فأرخ لها ابن خلدون في القرن الثامن منهياً بذلك الحضارة الإسلامية في فترة إبداعها الأول.

وقد نشأت معركة بين المتكلمين والفلاسفة من ناحية والفقهاء من ناحية أخرى حول شرعية استخدام هذه المصطلحات الوافدة لتأسيس العلوم الإسلامية. وهاجم ابن حزم استعمال المتكلمين ألفاظ التراث والصفات في العقائد. ونقد الفلاسفة لتركيزهم على

(٤) حسن حنفي: التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، التجديد اللغوي، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة 1980.

المقولات والصور في عالم الأذهان والحديث عنها كأنها موجودة بالفعل في عالم الأعيان مما يؤدي إلى التعددية والشرك. ويقضاه الغزالي على العلوم العقلية بالإضافة إلى فتاوي الفقهاء مثل ابن صلاح توقف الإبداع الاصطلاحي الأول.

4- طرق وضع المصطلح

وقد تم وضع المصطلح بطريقتين، التعريب أو النقل اللفظي، والترجمة أي النقل المعنوي، انتقالاً من الترجمة إلى الشرح والتلخيص إلى الإبداع الخالص. النقل اللفظي أو التعريب، وهي طريقة النقل الصوتي Transliteration من اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها، وذلك لرهبة اللفظ الجديد وعدم وضوح معناه وعصيان اللغة المنقول إليها لتفرز مصطلحاً مقابلاً. فترجمت كتب أرسطو الثمانية والمدخل في المنطق تعريباً في: ايساغوجي قاطيغورياس، وباري أرمينياس، وأنالوطيقا الأولى، وأنالوطيقا الثانية، وطوبيقا، وسوفسطيقا، وبوطيقا. ومن الطبيعة ألفاظ اسطقس، واسطقسات، وفانطاسيا، وجيرمطريا، واسطرونوميا، وهيولي.

النقل المعنوي، أو الترجمة، ويعني نقل المعنى من اللغة المنقول منها مع تجاوز إليها مع الحفاظ على المعنى والبحث عن لفظ أصيل من الموروث بدلاً عن الوافد. وقد كانت هذه الطريقة تالية للأولى للاستهجان اللغوي والغرابية اللغوية الناشئة عن التعريب وحرصاً على النقاء اللغوي. وذلك مثل كتب المنطق الثمانية لأرسطو بعد المدخل: المقولات، والعبارة، والتحليلات الأولى أو القياس، والتحليلات الثانية أو البرهان، والجدل، والمغالطة، والخطابة، والشعر. ومن الطبيعة ألفاظ: عنصر، وعناصر، ومادة. وتصبح اللغة تأليفاً وليست ترجمة، طبيعية وليست اصطناعية، إبداعية وليست منقولة، ثم أصبحت بعض الألفاظ المعرفة ألفاظاً منقولة تضم التعريب والنقل معاً، فاللفظ في أصله معرب تحول بعد ذلك إلى لفظ أصيل مثل: فلسفة، موسيقى، جغرافيا، ومثل هذه الألفاظ الأعجمية قد دخلت في اللغة العربية عبر

العصور مثل سندس وإستبرق واستعملها الوحي كلغة أصيلة. كما أعطت اللغة العربية غيرها من اللغات الغربية ألفاظها وبخاصة في اللغة الإسبانية واللغات الشرقية مثل التركية والأردية والفارسية والمالوية والأندونيسية.

وقد تم النقل أو الترجمة المعنوية بأربعة طرق :

أ - نقل لفظ بلفظ $\lambda\gamma\iota\sigma\mu\alpha\tau\iota\kappa\alpha$ وتعني جوهر $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ الصورة، $\lambda\gamma\iota\sigma\mu\alpha\tau\iota\kappa\alpha$ سبب $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ قوة $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ نفس، $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ بدن، $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ طبيعة $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ غاية.. إلخ وهو أدق أنواع النقل وأحكمها، ويدل على التقابل اللفظي بين اللغات وعلى وحدة الفكر البشري.

ب - نقل لفظ بعبارة، وذلك لاستحالة التعبير عن كل مضمون اللفظ المنقول بلفظ آخر منقول إليه خاصة لو كان اللفظ المنقول مركباً مثل $\lambda\gamma\iota\sigma\mu\alpha\tau\iota\kappa\alpha$ ويعني $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ فتم نقله : كمال طبيعي أي ذو حياة بالقوة، تاولوجيا : علم الأمور الإلهية. وهنا تبدو اللغة المنقول منها أكثر تركيزاً من اللغة المنقول إليها. ولكن حرصاً على النقاء اللغوي فضلت اللغة المنقول إليها العبارة الشارحة للتعبير عن معنى اللفظ على التعريب.

ج - نقل عبارة بعبارة، وهي العبارات الشارحة مثل $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ ما بعد الطبيعة، $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ محبة الحكمة $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ الفلسفة الأولى.

البرهان بالخلف $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ الرد إلى الحال $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ الموجد بما هو موجود $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ المصادرة أعلى المطلوب الأول $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ لفظاً بلفظ $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ والتكرير في اللغتين وأحد، $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ وعبارة بعبارة.

د - نقل عبارة بلفظ مثل $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ جوهر وتعني حرفياً الذي يوجد من تحت أو الحامل الجزئي $\mu\epsilon\tau\alpha\phi\upsilon\tau\alpha\sigma\iota\varsigma$ الجزئيات

ΤΟΚΚΑΨΕΚΔ6ΤΟΥ شخصی ΤΑΚΑΤΑ ΜΕΡΟ6
ΤΑΧΕΧΦΙΡΕ6 المجردات ΚΑΤΑΓΥΜΒΕΒ3ΚΟ6
عالية من التركيز في اللغة المنقول إليها. فالمصطلح حركة إبداعية مستمرة
من اللغة الأولى المترجم منها إلى اللغة الثانية المترجم إليها.

وقد تطورت المصطلحات الكلامية والفلسفية عبر العصور وبمنطق الإحكام اللغوي
والدقة الاصطلاحية. فالوجود عند الكندي هو الأيس والعدم أو اللاوجود هو اللبس،
والعلة الغائبة هي العلة التمامية. ويبدو ذلك في رسالة الكندي إلى المعتصم بالله في
الفلسفة الأولى. وكانت الأعراض أولاً المتى والأين قبل أن تتحول إلى الزمان والمكان.
وكذلك تحولت المصطلحات عند الفارابي من الآن والأون إلى الواحد الموجود، ومن
الأيناي إلى فعل يوجد ومن الأست إلى الوجود، وكما يبدو ذلك في كتاب "الحروف". ثم
استقرت المصطلحات نهائياً عند ابن سينا لغوياً كما استقرت الفلسفة في بنيتها الثلاثية:
المنطق والطبيعات والإلهيات.

ونظراً لأهمية المصطلح فقد وضعت فيه عدة مؤلفات منذ نشأة الفكر الكلامي
والفلسفي وبخاصة الفلسفي. فقد كتب جابر بن حيان (ت 200هـ) "رسالة في الحدود".
ثم كتب الكندي (ت 252) رسالة "في حدود الأشياء ورسومها" والخوارزمي (ت 387)
"الحدود الفلسفية". كما كتب ابن سينا (ت 428) "رسالة في الحدود"، والغزالي (ت 505)
"كتاب الحدود" ووضع الأمدى كتاب "المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين". ووضع
الجرجاني (ت 816) كتاب "التعريفات" مع قاموس خاص بالألفاظ الصوفية كما هي
واردة في "الفتوحات المكية" لابن عربي. وكتب التهانوي "كشاف اصطلاحات الفنون"،
والقاضي عبد الرسول "دستور العلماء" وحسن صديق خان "أبجد العلوم". ثم توقف
الإبداع الأول وحفظه في عصر الشروح والملخصات مع توقف الحضارة الإسلامية في
طورها الأول.

5- توقف المصطلح وتغير المرحلة التاريخية

وبعد تراكم تاريخي طويل تحولت بنية المصطلح إلى بنية الفكر، وتحولت بنية
الفكر في مرحلة تاريخية بعينها وفي إطار ثقافة خاصة إلى بنية الفكر ذاته في كل
العصور. فحدث الفصام بين المصطلح والفكر الثابتين وبين الواقع والثقافة المتغيرين. مع
أن كل واقع متجدد، وكل ثقافة متغيرة يستلزمان مصطلحات متغيرة وفكراً متجدداً. ولما

استعصى المصطلح المتغير والفكر المتجدد من الموروث نظراً لتوقفه ثم الانفتاح على وافد جديد من الثقافات المعاصرة نشأ الصراع بين الموروث القديم المتوقف المتحجر والوافد الجديد المتحرك المتجدد. فوُجعت الازدواجية في الثقافة الوطنية وفي الشخصية القومية وهو ما نحن عليه الآن منذ توقف المصطلح القديم في الحضارة الإسلامية في طورها الأول من القرون السبعة الأولى وبرز وافد جديد من الحضارة الغربية منذ مئتي عام.

وشتان ما بين اللحظتين التاريخيتين، الأولى والثانية، والطورين المتتاليين للحضارة الإسلامية، في القرون السبعة الأولى، التي أرخ لها ابن خلدون، وفي القرون السبعة الثانية التي يحاول جيلنا أن يخلفها ويبدأ قروناً سبعة ثالثة منتقلاً من الكبوة إلى النهوض، ومن النقل إلى الإبداع، ومن الهزيمة إلى النصر، ومن التجزئة إلى الوحدة. إذ تحدد اللحظة التاريخية وعلاقة الثقافات والشعوب بعضها ببعض طريقة وضع المصطلحات ونقلها من ثقافة إلى أخرى. فإذا كانت الثقافة منتصرة، في موضع قوة، فإنها سرعان ما تتمثل ثقافات الشعوب المغلوبة حتى وإن كانت أقدم منها وأقوى صياغة. كان هذا حال الثقافة الإسلامية الناشئة في القرن الأول، عصر الفتح، مع الثقافات اليونانية والفارسية والهندية بعد أن تمت ترجمتها في القرن الثاني. لم يكن هناك خوف من ثقافة الآخر أو ضعف ثقة بالنفس، فحدث نقل طبيعي للمصطلح الوافد داخل المصطلحات الموروثة من أجل خلق ثقافة متجددة يتوحد فيها الرافدان الخارجي والداخلي.

ومنذ فجر النهضة العربية الحديثة بدأت حركة ثانية للترجمة من الحضارة الغربية. وكما نقلنا عن اليونان قديماً من موضع قوة فإننا نقلنا عن الغرب حديثاً من موقع ضعف. كنا فاتحين فأصبحنا مفتوحين. كنا منتصرين فأصبحنا مهزومين. انتقلنا من الهجوم إلى الدفاع، ومن الانتشار إلى الانكماش، ومن التقدم إلى التقهقر. فقد احتلت الأوطان، ونهبت الثروات، وتوقفت العلوم القديمة ولم تتطور حتى أرخ لها ابن خلدون في القرن الثامن. وجاءت حضارات أخرى غازية تجد النخبة فيها تعبيراً عن الواقع الجديد في مواجهة القديم يتحدد المصطلح الكلامي الفلسفي إذن بفترتين تاريخيتين: النصر قديماً والهزيمة حديثاً. وتتحدد طريقة وضع المصطلح بناء على هاتين اللحظتين التاريخيتين. وعادة ما يتجنب الباحث العربي المعاصر التعرض للموضوع حديثاً. هارباً إلى القديم، تعويضاً عن مآسي العصر، واستسهالاً لتحليل مادة علمية حوتها أمهات الكتب دون تنظير جديد ومباشر للواقع طلباً للسلام، وإيثاراً للهدوء. لم تعد الشجاعة قائمة. وتوقفت

العلوم القديمة حتى تأريخ ابن خلدون لها. بل إذا ذكر واجب الوجود أو العلة الأولى أو الماهية فإنه يتبادر إلى الذهن الوافد أكثر من الموروث: أفلاطون، وأرسطو، وأنسليم، وتوما الإكويني، وديكارت، وكانط، وهيجل، وهوسرل، وبرجسون، توقفت المصطلحات القديمة عن التطور والنمو. بل عادت الألفاظ القديمة وتراجعت إلى موطنها الأصلي كما تريد الحركة السلفية، وظهرت من جديد ألفاظ الله بدل واجب الوجود أو الغاية القصوى، والإيمان بل النظر والقضاء والقدر بدل القانون الطبيعي.

ومنذ فجر النهضة العربية والتعريب قد جاوز النقل، واستسهل المشتغل بالفلسفة النقل الصوتي على النقل المعنوي. فظهرت في اللغة الفلسفية المعاصرة مصطلحات مثل ترينسدنتال دون أن يتحول إلى لفظ عربي مقابل. وتعددت الاجتهادات في شارطي، صوري، أولي، جواني، ومثل ميكانيزمات وتعني آليات، ديالكتيك وتعني الجدل، الفيزياء وتعني علم الطبيعة، وتحول البعض منها إلى ألفاظ عربية لا بديل عنها مثل الكمبيوتر، التابو، السويرمان، التكنولوجيا، الأيديولوجيا، السوسيولوجيا، الأنثروبولوجيا، الأنتولوجيا، وكثرت هذه المصطلحات في العلم والمخترعات الحديثة مثل الراديو، التلفزيون، الكمبيوتر، الفونوغراف، التلجراف، التلكس، الفاكس، الدش، بل تحولت أسماء الفلاسفة الغربيين إلى مذاهب مثل: الأوغسطينية، التوماوية، الديكارتية، الكانطية الهيجلية، الماركسية، البرجسونية مع أن القدماء لم يقولوا الأفلاطونية والأرسطية والسقراطية وقصروا النسبة للشخص إلى الفرق الكلامية مثل الهذيلية، الجاحظية، الواصلية، الأشعرية، الهشامية، السبائية، الكرامية، الماتريدية. وقلدنا الغرب في تحويلنا أسماء الحكماء إلى مذاهب مثل: السينوية والرشدية.

ومنذ الرافد الثاني الفلسفي من الثقافة الغربية بدأ أساتذة الفلسفة يعتمدون على المعاجم الغربية مثل لالاند وريفو وغيرها من المعاجم اعتماداً شبه كلي. وقلما يعودون إلى الكندي أو ابن سينا أو الأمدى أو الجرجاني أو التهانيب أو القاضي عبد الرسول أو حسن صديق خان. وكلما انزوى الأساتذة عن القدماء ونهلوا من المحدثين زاد البعد بين الثقافتين فتطغى الثقافة الغربية الوافدة المتجددة الغازية على الثقافة الموروثة المتوقفة المتقهرة. فإذا ذكر مصطلح الوجود والعدم والماهية تذكر معاني ديكارت وكانط وهيجل وهيدجر وسارتر وليس ابن سينا والأشاعرة والمعتزلة. فأصبحت ثقافتنا الفلسفية عرجاء تسير على قدم واحدة أو عوراء ترى العالم بعين واحدة. فتراجع التفاعل الثقافي وحل

محله الصراع الثقافي بين الموروث والوفاة مجسداً الصراع بين الأنا والآخر، بين السلفية والعلمانية.

6- تحريك المصطلح وتوليد المصطلحات

المصطلحات طبقاً لتعريفها اصطلاحية وليست توقيفية طبقاً للإشكال الرئيسي عند النحاة والأصوليين هل اللغة توقيف أو اصطلاح؟ إذ تنشأ اللغات نشأة اجتماعية لضرورة التخاطب بين الناس تقليداً لأصوات الحيوانات والطبيعة أو طبقاً لمخارج الحروف وعلاقتها بالانفعالات الإنسانية. فالاصطلاح ليس مجرد إتقان ومواضعة بين إرادات المتكلمين بل يقوم على أساس طبيعي صوتي. الصنع الإنساني حر، والضرورة طبيعية وليست إلهية. وقد يكون أحد أسباب توقف المصطلحات سيادة نظرية التوقيف في اللغة على نظرية الوضع، واعتماد التوقيف على الإرادة الإلهية والعلم الإلهي. ولا سبيل إلى تحريك المصطلح إلا بنظرية الوضع وتغليبها على التوقيف في ثقافتنا الوطنية وفي وجداننا القومي. المصطلح موضوع لعلم اللغة وليس لعلم الكلام.

والمصطلح ليس قضية صوتية لفظية فقط بل يتجه أساساً نحو المعنى، واللفظ ليس مجرد ثوب للبدن أو بدن للنفس كما شبهه القدماء بل هناك علاقة عضوية بين اللفظ والمعنى تتجلى في المعاني الثلاثة للفظ: المعنى الاشتقاقي، والمعنى العرفي، والمعنى الاصطلاحي.

فالمعنى الاشتقاقي يربط اللفظ بالصوت الطبيعي، ويرجع اللغة إلى الوجود نظراً للتقابل الأصلي بين عالم الأذهان وعالم الأعيان. ولا يحيل اللفظ إلى مجرد بنية صورية أو مجرد اختيار حر لا ضرورة فيه، لذلك نشأت القوامين الاشتقاقية للغة للتعرف على نشأة الألفاظ الطبيعية وتأسيس اللغة في العالم، وقامت القواميس على الجذر، والجذر هو الوحدة الصوتية الأولى التي تخرج من الفم في مقابل الوحدة الصوتية في الطبيعة من خلال الأذن.

والمعنى العرفي يدل على أهمية الاستعمال. فاللغة للتداول. والتداول عبر العصور يعطي اللفظ معناه العرفي طبقاً لقدرات الناس على التعبير به وتبعاً لمقاصدهم وحاجاتهم وعاداتهم وخبراتهم التاريخية الطويلة. اللغة عادة اجتماعية. لذلك يتغير المعنى العرفي للفظ عبر التاريخ. ونشأت المعاجم اللغوية التاريخية لتحديد الألفاظ وتغييراتها في

الاستعمال عبر الأجيال. العرف جزء من المعنى. والمعاني الاجتماعية للألفاظ لا تقل أهمية عن معانيها الشرعية. وتصورات الناس لله كما تبدو في الثقافة الشعبية وفي الاستعمال الدارج تؤخذ في الاعتبار مع تصوراته في التوحيد. فالواقع جزء من المعيار.

والمعنى الاصطلاحي هو المعنى الجديد الذي يهدف إلى وضع المعيار العام من خلال الواقع الخاص من أجل التشريع وسن القوانين ومعايير السلوك بصرف النظر عن تداول الألفاظ والذي يمكن استنباط الأحكام منه والذي يتفق عليه كل الناس طبقاً لإجماع العقلاء واتفق الجمهور. المعنى الاصطلاحي هو الثابت من خلال المتغيرات، والجوهر في مقابل الأعراض.

ولا يقع تناقض مبدئي بين المعنى الاشتقاقي والمعنى الاصطلاحي. فالاشتقاق هو جذر الكلمة والاصطلاح ثمرتها. إنما يقع الاختلاف في الاستعمال، في الجذوع المتعددة من الجذر الواحد والتي تؤدي إلى الثمار نفسها. المعنى الاشتقاقي هو الذي يربط المصطلح بالواقع وبالحياة. والمعنى العرفي هو الذي يسمح بالتعددية في التطبيق والاختلافات الجزئية طبقاً لمحددات الزمان والمكان. والمعنى الاصطلاحي هو الذي يعطي القاعدة والمعيار، والعموم والشمول. المعنى الاشتقاقي في الطبيعة، والمعنى العرفي في المجتمع، والمعنى الاصطلاحي في الأخلاق. المعنى الاشتقاقي هو الثابت في الطبيعة والمعنى الاصطلاحي هو الثابت في الأخلاق والمعنى العرفي هو المتغير في المجتمع. ومن ثم يمكن تحريك معنى لمصطلح طبقاً للمعنى العرفي واستعمال الناس. فاللغة للتداول.

وقد يتطلب ذلك توليد مصطلح آخر أكثر تعبيراً عن المعنى العرفي الجديد ودون الخروج على المعنى الاشتقاقي والمعنى الاصطلاحي. واللفظ مجرد ثوب للمعنى. مثلاً، لقد استطاع المتكلمون قديماً عرض قضية الحرية في مصطلح خلق الأفعال عند المعتزلة أو الكسب عند الأشاعرة أو الجبر عند الجهمية. ولم نتجاوز نحن مصطلحات القدماء على الرغم من الانتقادات الموجهة للموروث من أنصار الوافد من أننا لم نعرف الحرية بالمعنى الحديث. فاللفظ عندنا شرعي يدل على الحرية في مقابل العبودية، الحر في مقابل العبد. هنا تأتي أهمية توليد المصطلحات وضرورة تطوير المصطلحات الكلامية القديمة بالرغم من إبداعها ألفاظ خلق الأفعال والكسب إلى مصطلحات الحرية

والتححرر والاعتراض والمقاومة والثورة والغضب والرفض والتمرد ونفائضها في التسلط والطغيان والقهر والإرهاب والتحكم والسيطرة والعبودية والاستكانة والاستسلام والرضا والقبول والطاعة والرضوخ.

وكذلك قدمت مصطلحات النبوة والمعاد. فقد توقفت النبوة بعد أن اكتملت، ولم تعد تثير قضية إثبات أو نفي كما لم يعد أحد ينكر خلود النفس حتى يثبت المعاد. ولكن وجدت أنه طبقاً للعصر فإن النبوة تعني تطور الوعي في الماضي أي تاريخ الفكر. كما يعني المعاد مستقبل الإنسان وآثاره بعد الموت. يشير المصطلحان القديمان إذن إلى التاريخ الماضي والمستقبل وهو ما نحتاج إلى تأسيسه في وعينا المعاصر، الوعي التاريخي الذي ينقصنا والذي بدونه يتأزم الوعي السياسي ويكون مجتث الجذور.

كما أن مصطلح الإمامة القديم أصبح له مدلول سلبي، أولوية الحاكم على المحكوم، واختزال المشكلة السياسية في شخص الإمام لدرجة تسمية الدولة كلها باسم الإمام. ولكن وجدت أن العصر يجعل القضية السياسية أولاً الدولة، والمجتمع المدني، واستقلال المؤسسات، وحرية المواطن، وحقوق الإنسان، والتعددية الحزبية، وديمقراطية الحكم. فأين ذلك كله من مصطلح الإمامة.

قد يكون توليد المصطلحات جزئياً وليس مبدئياً في كل المصطلحات القديمة بل فيما تقادم منها فقط. إذ يظل بعضها ذا دلالة معاصرة مثل لفظي الإيمان والعمل. فإذا كان الإيمان هو النظر لأن إيمان المقلد لا يجوز، يصبح المصطلحان النظر والعمل، وهي مشكلة معاصرة، فقد لاحظ محمد عبده من قبل "ما أكثر القول وأقل العقل". التوليد الاصطلاحي هنا جزئي بعد إظهار معنى الإيمان في النظر وتخليصه مما علق به من تقليد عبر العصور.

وقد تكون بعض المصطلحات القديمة معاصرة في نفس الوقت ولكن مستوى إدراكها هو الذي يتغير من المستوى الإلهي القديم إلى المستوى الإنساني الحديث مثل مصطلحات الذات والصفات والأفعال. فقد نشأت قديماً للدفاع عن التوحيد وحرصاً على التنزيه. والآن في وجود الإنسان والاعتراف بذاته وصفاته وأفعاله، وحقه في الوجود والعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام والإرادة. وهو ما حاوله الصوفية في الإنسان الكامل الذي يمحي الفرق فيه بين الله والإنسان. بل إنها ذات الإنسان وصفاته أولاً ثم

أسقطها على الله قياساً للغائب على الشاهد. فبتوليد المصطلحات الجديدة من المصطلحات القديمة في علم الكلام يمكن اكتشاف الإنسان والتاريخ، وهما البعدان الناقصان في وجداننا المعاصر^(٥).

7- إبداع المصطلح من ثقافة العصر

لما كان المصطلح منذ نشأته تعبيراً عن روح الموروث في اللفظ الوافد من ثقافة العصر، وكانت ثقافة العصر متغيرة بتغير الثقافات والحضارات ومراحل التاريخ تجدد المصطلح أيضاً وتغير. وقد لا يكفيه توليد المصطلح الجديد من ثنايا المصطلح القديم بعد إعادة قراءته وتأويله واستخراج المسكوت عنه في مصطلح جديد. حينئذ يتم إبداع مصطلح جديد من ثقافة العصر طبقاً للمعنى العرفي ولغة التداول ومع الارتباط بالمعنى الاشتقاقي. الجذر التاريخي الطبيعي ودون التضحية بالمعنى الاصطلاحي المعياري الدائم. وتضم ثقافة العصر واقع العصر وكلاهما يكونان روح العصر.

مثال ذلك: كل المصطلحات التي تتعلق بالإنسان وحقوق الإنسان. فالله والسلطان، الإنسان الكامل في السماء وكامل الأوصاف في الأرض تم اثباتهما في علم الكلام القديم وفي الفلسفة القديمة. والعصر عصر الإنسان ونحن نعيش في مجتمع الإنسان فيه ضائع، وحقوقه منتهكة. وفي الوقت نفسه الإنسان لفظ موروث. بل إنه لفظ قرآني وفي الوقت نفسه لفظ من ثقافة العصر، يعبر عن حاجة الفرد والمواطن. لقد عرفنا قديماً حقوق الله وواجبات الإنسان كما قال محمد بن عبد الوهاب من قبل "كتاب التوحيد هو حق الله على العبيد" وعصرنا في حاجة إلى أن يعرف واجبات الله وحقوق الإنسان. وقد قال المعتزلة قديماً بالواجبات العقلية: الخلق والتكليف والاستحقاق.

مثال آخر: مصطلحات الحرية والديمقراطية والانتخاب والتعددية وحق الاختلاف، وكلها تعبر عن ثقافة العصر وحاجة الناس. فالمواطن يتوق إلى الحرية، وتسعى المعارضة إلى تأسيس نظم حكم ديمقراطية تقوم على التعددية الحزبية، ويحاول السلفيون الجدد والعلمانيون بداية تنوير عربي جديد، استئنافاً لتنوير القرن الماضي منذ فجر

(٥) انظر، بحثنا: لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟ لماذا غاب مبحث التاريخ في تراثنا القديم؟ دراسات إسلامية، الأنجلو المصرية، القاهرة 1981. وأيضاً "من العقيدة إلى الثورة، المجلد الخامس: الإيمان والعمل - الإمامة". مدبولي، القاهرة 1988.

النهضة العربية الحديثة، ومن أجل إقالته من عثرته وإيقاف رده، فقد تم تعريب الديمقراطية والليبرالية في ثقافة العصر كما عرب القدماء الجغرافيا والموسيقى.

مثال ثالث: مصطلحات الشعب والجمهير التي أصبحت أيضاً من لغة التداول في هذا العصر. صحيح أنه يمكن توليدها من مصطلح الأمة، فهي تنوعات عليه، ولكن نظراً لأهميتها وشيوعها يمكن للمتكلم والفيلسوف الجديد استعمالها اعتماداً على العرف وتأصيلاً لها في المصطلحات القديمة مثل القوم والجمهور والناس والشعوب والقبائل والعوام. كذلك تبرز مصطلحات المساواة والعدالة الاجتماعية من أجل المعاني القديمة بألفاظ جديدة حماية للثقافة الوطنية من سحر الألفاظ الوافدة.

ولما كان الإنسان في العالم وليس فقط مع الآخرين فقد برزت مصطلحات العالم والكون والطبيعة والأرض كي تبين ميدان الفعل الإنساني وتعبّر عن حاجة الناس للعودة إلى العالم والطبيعة وإلى الدفاع عن الأرض. فالإنسان بين عالمين، عالم الفكر وعالم الطبيعة، فالطبيعة هي الآخر الذي يعيش الإنسان فيه، وقديماً كانت الطبيعيات مقدمة للإلهيات في علم الكلام والفلسفة. وكانت الإلهيات طبيعيات مقلوبة إلى أعلى عن طريق النفي. والآن يعد الإنسان لآخرته أكثر مما يعد إلى دنياه، ويتصور أن الآخرة التي يعد لها هي الآخر الذي يعيش فيه.

وأفضل مصطلح ما كان هو واللفظ العادي شيئاً واحداً، فلا فرق بين اللغة العلمية واللغة العادية، بين لغة المتخصصين ولغة الناس. هذا هو السهل الممتنع الذي يقدر كل الناس على فهمه والتأثر والتأثير به. فالمصطلح عوبص الفهم، غريب الاستعمال، ثقيل التحلق لا يؤدي وظيفته في إيصال المعاني، وتتحول اللغة إلى غاية في ذاتها وليست وسيلة للتعبير والإيصال، توهم بالتعاليم وبالعلم اللدني، وتعطي الناس الإحساس بالدونية نظراً للمسافة الشاسعة بين الثقافة العالمية والثقافة الشعبية، بين تخصص العلماء والحس البدهي مما يساعد على انحسار العلم وعزلة العلماء، وانتشار الثقافة الشعبية الموروثة كبديل عن العلم الدقيق بما لها من رصيد عند الناس وما تتمتع به من قدرة فائقة على التأثير.

وتلك مهمة المتكلم الجديد والفيلسوف الجديد في عصرنا، قدرته على إبداع مصطلح تلقائي يعبر عن ثقافته المعاصرة وحاجات الناس. يعبر عنهم ويؤثر فيهم باسم العلم الدقيق ومواصلة الثقافة الشعبية الموروثة والتراكم التاريخي الطويل والانفتاح على العصر. استطاع ذلك برجسون كما فعله القرآن الكريم من قبل. لذلك ارتبط المصطلح بالصورة الفنية، فالجوهر والعرض مصطلحان وصورة فنية في آن واحد، الحامل والمحمول كمفهوم، والمركز والمحيط كصورة. والذات والصفات والأفعال ومصطلحات وفي نفس الوقت صورة فنية، الدوائر الثلاث ذات المركز الواحد، مما يدل على أن علم الكلام والفلسفة علوم إنسانية تقوم على قياس الغائب على الشاهد، ويحدث ذلك في العلوم الطبيعية أيضاً، فالذرة مصطلح علمي وصورة فنية. المصطلح تصور عند العالم، والصورة أداة للتعبير عنه أمام الناس، فالمعنى ينقل من عقل العالم إلى خيال الناس، وقد تكون الصورة أقدر على التعبير عن المعنى وإيصاله من التصور. الشيء تصور عند العالم وصوره عند الناس، وأصالة المصطلح هو أن يكون جامعاً بين التصور والصورة، بين علم العالم وثقافة الجمهور^(١).

(٦) انظر بحثنا: الشيء تصور هو أم صورة؟ مجلة إبداع، القاهرة، العدد الثاني عشر، ديسمبر 1991.